المصطلح والترجمة

د. عمر لحسن
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة باجي مختار(عنابة) – الجزائر
lahcenamor@yahoo.fr

تاريخ استلام البحث ٢٠١٣/٥/٨ تاريخ قبول البحث ٢٠١٣/٦/٢٦

ملخص:

إن أكبر معضلة يمكن أن تواجه الترجمة العلمية هي معضلة المصطلح، باعتباره حاملا لأهم المفاهيم التي تقوم عليها العلوم. وقد واجهت اللغة العربية قديما هذه المعضلة، منذ بدء حركتها العلمية في القرن الثاني الهجري، غير الجهود المتفانية التي بذلها علماؤها ذللت الصعاب، وساعدت على خلق جهاز مصطلحي عربي خالص في شتى العلوم لأنهم تحولوا من مستهلكين للعلوم إلى منتجين لها. واليوم، تواجه اللغة العربية المشكلة نفسها، غير أن العقبة أكثر وعورة، لأن سرعة تطور العلوم أكبر بكثير من القدرة العربية على الترجمة، كما أن العرب لم يصلوا إلى مرحلة إنتاج العلوم.

الكلمات المفتاحية: الترجمة العلمية – المصطلح – اللغة العربية – التحديات المعاصرة .

المقدمة:

إن الترجمة فعل حضاري علمي في آن واحد، فبوساطتها تنهض الأمم وتتلاقح الثقافات والحضارات، فالأمة التي تريد أن تؤسس لنفسها حضارة ومجدا ، مضطرة إلى معرفة ما توصل إليه غيرها من الأمم السابقة ، وبذلك فهي لا بد أن تلجأ إلى الترجمة لاستلهام ذلك الموروث الإنساني ، فهي قديمة قدم الإنسان .

ودرب الترجمة وعر متعدد المسالك حافل بالمطبات، وميدانها متداخل العناصر متشابك الأركان. وقد تصدى بنو الإنسان لهذا النشاط منذ قديم الزمن، بعد أن تفرعت الألسن، ذلك أن الحاجة اقتضت منهم أن يتفاهموا ويتواصلوا ويتخاطبوا مستعملين الترجمة واسطة . وقد لعبت الترجمة قديما دورا خطير الشأن في اتجاهين رئيسين : أولهما نقل التوراة والإنجيل في نطاق حملة التنصير ، التي انطلقت من بلاد ما بين النهرين ، والثاني نقل الفكر الإغريقي والفارسي والهندي وغيره إلى اللغة العربية ، وإرساء قاعدة الحضارة العربية الإسلامية [١] . فالترجمة بوصفها « نشاطا لغويا تعدّ إحدى أكثر الممارسات اللغوية تعقيدا لما تتطلبه من مهارة تمثُّل النص المترجم تمثّلا مدركا لخصائصه البنيوية وقرائنه الثقافية ، ومن جهة أخرى فهي مصدر هام في عملية التواصل الإنساني وجعله مستوعبا على الدوام لخبرات الآخر وإنجازاته » [٢] .

وإذا كانت الترجمة الأدبية توصف بالخيانة أو الأمانة بحسب قربها أو بعدها عن النص الأصل ، وفي هذا يرى ترنوكشي Tarnoczi أن « الترجمة والأصل يكونان في حالة تناسب إذا عبرا عن نفس الشحنة الإعلامية، ونفس المقصدية التواصلية وأن يحدثا نفس الأثر لدى القارئ أو المستمع » [٣] . مع العلم أن الترجمة قد تحدث بعض التغييرات مقارنة مع الأصل وذلك تماشيا مع مقتضيات اللغة المنقول إليها. في حين ترى جويل رضوان أن «الأمانة الأساسية يجب أن تتوجه إلى الجمهور الذي نترجم من أجله، إذ يجب أن يحس نفس الأثر الذي أحسّه قراء أو مستمعو النص الأصل» [٤]، ولا يمكن لهذا الأثر أن يمارس فعاليته إلا إذا كان المترجم متمكنا من حضارة اللغتين ومطلعا على أسرار أساليبها.

أما الترجمة العلمية، فلا يجب أن تدخل في هذا الجدال، ذلك أنها مطالبة بأن تنقل المفاهيم والمعطيات العلمية بدقة وبأمانة متناهيتين ، لأن أي عدول عن النص الأصل قد ينتج مفاهيم خاطئة أو غير التي قصدها صاحب النص . وربما تكون الترجمة العلمية – في هذا المجال – أقل صعوبة من النص الأدبي الذي يعتمد أساسا على الاستعارات والكنايات وشتى أنواع البيان والبديع، وهو ما يجعل الخيانة [٥] واردة.

غير أن أكبر معضلة يمكن أن تواجه الترجمة العلمية هي معضلة المصطلح ، ذلك أنه « من المعلوم بالضرورة أن مفاتيح العلوم مصطلحاتها ، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى . فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه . وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته » [٦] . فالسجل المصطلحي لكل علم هو السياج المانع والحصن الذي يحميه من يتلبس مع غيره من العلوم . فلا غرابة إذن أن يعدّ الجهاز المصطلحي لكل علم صورة مطابقة لبنية قياساته، متى فسد فسدت صورته واختلت بنيته، فيتداعى مضمونه بارتكاس مقولاته [٧].

يبدو جليا، مما سبق « أن الوزن المعرفي في كل علم رهين مصطلحاته، لذلك نسميها أدواته الفعالة لأنها تولده عضويا وتنشئ صرحه، ثم تصبح خلاياه الجنينية التي تكفل التكاثر والنماء. وذلك ما يفسر إذن كيف أن كل علم يصطنع لنفسه من اللغة معجما خاصا»[٨]، وغالبا من نلاحظ أن هذه الألفاظ غير متداولة في الرصيد اللغوي المتداول، وما هو وارد فيه يكون ذا دلالة مغايرة لما هو شائع، وهذا هو حال كل العلوم التي تبلورت فشيدت لنفسها حصنها المستقل. وبذلك، فإن نجاح أي مشروع ترجمي في مجال العلوم المختلفة مرهون بالنجاح في وضع الجهاز المصطلحي المناسب، وجعله متداولا بين جميع المختصين في ذلك العلم، وإن استطاع أن يحقق الشيوع والتوحيد، فذلك أقصى ما يقصده أي مترجم.

– الترجمة عند العرب قديما:

لو نظرنا إلى « الخط البياني لمسيرة اللغة العربية فيما قبل الإسلام لوجدنا هذا الخط على مستوى أفقي ثابت لا يقفز صاعدا ولا يهبط منحدرا، وإنما يقوم على المحافظة على مستواه أمة عربية جاهلية شديدة الاعتزاز بتراثها والتسامي في طرق إبداع نصوصه شعرا أو خطابة أو سجع كهانة أو وصايا أسرية أو غير ذلك مما تتسع له الحياة البدوية» [٩]. وكان انبلاج صبح الإسلام بمثابة نقطة التحول الحاسمة، التي جعلت الخط البياني للغة العربية يتحرك صاعدا بتسارع مذهل، فانتقلت اللغة العربية من حالة سكون وجمود إلى حركية إبداعية في جميع المجالات الأدبية والفكرية والعلمية.

وكان أمام العرب في ذلك العصر تحديات لسانية متعددة الأوجه، من بينها:

١ – الحفاظ على اللغة العربية من اللحن والتشويه اللذين كانا يهددانها بسبب ضعف السليقة لدى أبنائها ودخول الأعاجم في الإسلام ومخالطتهم العرب بالمجاورة والمصاهرة.

٢ – استيعاب الفكر والعلم الوافدين من مختلف اللغات والحضارات كاليونانية والفارسية والهندية، ووضع الجهاز المصطلحي باللغة العربية المقابل للمصطلحات الأجنبية.

٣ – استيعاب العلوم الجديدة التي استحدثها المسلمون من العرب والعجم باللغة العربية في شتى المجالات اللغوية والدينية والفيزيائية والطبية والرياضية والفلكية.

أما التحدي الأول، فكان من أوائل ما شغل بالهم، لأنهم رأوا في ذلك خطرا محدقا باللغة سيؤدي إلى ضياعها، وبالتالي ضياع النص القرآني، استجابة لقوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[١٠] .

فظهرت حركة لغوية حثيثة على أيدي علماء سخرهم الله لخدمة اللغة العربية والحفاظ على القرآن الكريم، الذي اعتمدوه مصدرا أولا للتقعيد النحوي والصرفي والصوتي والبلاغي، فشهد العرب دراسات ذات مستوى علمي عالٍ على أيدي علماء من أمثال الخليل ابن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني وابن هشام وابن مالك وغيرهم. وقد بلغ اهتمامهم بالنحو إلى حدّ جعلهم ينقسمون إلى مدارس، كالمدرسة البصرية والمدرسة الكوفية والمدرسة البغدادية. بل إنهم وصلوا به إلى درجة عدها بعضهم من قبيل الترف العلمي، من أمثال ابن خلدون الذي يرى أن النحو يجب أن يقتصر على القسط الذي يجعل المتعلم يحصّل الملكة اللسانية، لأنه وسيلة لا غاية، حيث يقول: « فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الأدلة والأنظار، فإن ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته وإيضاحا لمعانيها المقصودة. وأما العلوم التي هي آلة لغيرها، مثل العربية والمنطق وأمثالها، فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط [...] فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال به لغوا، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها»[١١]

أما التحدي الثاني، فقد وفقت فيه العربية أيما توفيق، إذ لم نقرأ أو نسمع عن اختلاف في ترجمة مصطلح في لغة ما إلى العربية رغم ظهور حركة ترجمة متسارعة بدأت « مع بداية العصر العباسي، فكانت من أعظم الأمور خطرا في مجرى التأثر والتأثير في تاريخ اللغة العربية » [١٢] . غير أن هذه الحركة الترجمية لم تعرف أوجها إلا في عصر المأمون الذي عرف الدور الإيجابي الذي يمكن أن تؤديه في نهضة الأمة وتقدمها، وذلك أنها كفيلة بخلق جو من تصادم الأفكار وتلاقحها، مما يدفع عجلة الإبداع والخلق في شتى المجالات إلى الأمام، « فلما صارت بغداد عاصمة لملك المأمون أنشأ بها بيت الحكمة وأناط به جهود الترجمة عن اليونانية مباشرة على أوسع نطاق ممكن » [١٣]. ومن أشهر المترجمين في ذلك العصر أبو زكريا يحي بن ماسويه، وحنين بن إسحاق العبادي[١٤]، الذي كان مشرفا على بيت الحكمة، وأشهر مترجمي المؤلفات العلمية اليونانية إلى العربية، وابنه إسحاق، وابن أخيه حبيش بن الحسن وتلميذه عيسى بن يحي بن إبراهيم ... وقد شكّل المصطلح عائقا في سبيل تناول النصوص والأعمال المترجمة في بداية الأمر، وذلك نظرا إلى أن العربية لم يكن لها سابق عهد بهذه العلوم والمصطلحات، ونظرا إلى أن المشتغلين بالترجمة ليسوا من ذوي الاختصاص المترجم، سواء في مجال الفلسفة أو الرياضيات أو الطب أو البلاغة والأدب، مما حدا بالبيروني إلى أن ينقل لنا معاناة القدماء من المصطلحات الأعجمية، فيقول : « فإذا ذكر لهم إيساغوجي ، وقاطيغوراس ، وباري أرميناس ، وأنولوطيقا ، رأيتهم يشمئزون منه وينظرون نظر المغشي عليه من الموت . وحق لهم ؛ فالجناية من المترجمين ؛ إذ لو نقلت الأسامي إلى العربية فقلت: كتاب المدخل ، والمقولات ، والعبارة، والقياس، والبرهان لوجدوا متسارعين إلى قبولها ، غير معرضين عنها » [١٥] .

غير أن هذا الإشكال سرعان ما تلاشى بعد أن اطلع العرب على هذه العلوم، وأدلوا بدولهم في التأليف والبحث والتعمق، فوضعت المصطلحات العربية في شتى العلوم والاختصاصات، وإن لم يشكل هذا الأمر عائقا في سبيل التطور العلمي العربي، نظرا إلى أن العملية الترجمية كانت مركزية تتم في إطار رسمي تابع للسلطة (بيت الحكمة)[١٦].

وموازاة مع هذه الحركة الترجمية، نشأت حركة تأليف عربية قام بها علماء عرب وأعاجم في شتى مجالات العلم والمعرفة، من أشهرهم الطبيب الرئيس ابن سينا والفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي وأبو نصر الفارابي، والطبيب ابن زهر والفيلسوف ابن رشد، والغزالي وابن حزم وابن الهيثم والخوارزمي...

لقد كانت نشأة الحياة الفكرية الإسلامية من ثمرات القرآن ودراسته واستنباط أحكامه [١٧]، حتى كان ذلك خيرا وبركة على اللغة الغربية ذاتها، وذلك بالنظر إلى أن جل الدراسات اللسانية والبلاغية والفلسفية والكلامية والرياضية والطبية والفيزيائية التي ظهرت عند العرب حتى أصبحت قبلة لكل علماء العالم، فكانت خدمة للإسلام، أو تدعيما للغته العربية بصفة مباشرة من خلال دراسة اللغة نفسها أو بشكل غير مباشر، من خلال إثراء اللغة العربية بالمصطلحات العلمية في مختلف المجالات العلمية والمعرفية « فلا أحد من المنصفين وحتى غير المنصفين يمكن أن ينكر أن العربية استطاعت أن تستوعب الحضارات والثقافات الإنسانية، وكانت واسطة بين الثقافة الإغريقية القديمة والنهضة الأوربية الحديث التي انطلقت من تلقاء بجاية وقرطبة وفاس والقاهرة ودمشق وبغداد وسواها من مدن الأندلس وبلاد المغرب وبلاد المشرق، وذلك بأن نقحت تلك العلوم وأضافت إليها كثيرا من النظريات والتحويرات والتطويرات قبل أن تتلقفه النهضة الأوربية فتدرسه، ثم تقيم عليه أسسه الكبرى » [١٨] .

وهكذا نلاحظ أن اللغة العربية عرفت على مرّ العصور تحديات كبيرة، تمثلت في ضرورة احتواء العلوم المستحدثة عند العرب والمترجمة عن الأمم، ووضع المصطلحات المناسبة لهذه العلوم وبخاصة في العصر العباسي، الذي عرف نشاطا علميا حثيثا لم تشهد العربية مثيلا له من قبل. ولقد استطاعت أن تواجه هذا التحدي بكل جدارة، حيث ظهرت في مقابل هذه الحركة العلمية، حركة لغوية اصطلاحية في شتى العلوم.

إن هذا العرض الموجز للحركة الترجمية العربية القديمة، لا يهدف إلى البكاء على الأطلال، بل « إن العودة إليه لاستكناه تاريخنا علّه يكون المهتدي للتفعيل في عصرنا كما فعّل أولونا » [١٩]. ذلك أن آخر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها، خاصة أن الظروف التي تعيشها اللغة العربية في هذا العصر شبيهة بالتي عرفتها في بداية العصر الإسلامي.

– الترجمة في العصر الراهن :

واللغة العربية، في هذا العصر، تواجه كذلك تحديات كبيرة، بالنظر إلى الحركة العلمية التي لا نظير لها في تاريخ الإنسانية في شتى المجالات العلمية والتكنولوجية وحتى اللسانية، غير أن الوضع اليوم يختلف، ذلك أن الحركة العلمية قديما كانت قد تمت في أحضان الأمة العربية الإسلامية، وبذلك فإن التحدي اللغوي أقل حدة، إذ الابتكارات والمصطلحات عربية، أما اليوم فإن العرب مستهلكين للعلوم، متأثرين بغيرهم من الأوروبيين والأمريكيين الذين ينتجون هذه المعرفة وهذه العلوم.

فهل العربية قادرة على أن تستوعب هذا الفيض العلمي الهائل، وأن تجعل متكلميها يسهمون في الحركة العلمية والثقافية العالمية، خاصة وأن العالم أصبح بمثابة قرية صغيرة بفضل وسائل الاتصال الحديثة (الإنترنت بشكل خاص)، أم أنها على العكس من ذلك ستترك مكانها لغيرها من اللغات الأجنبية ؟

لقد عرفت اللغة العربية صحوة منذ بداية القرن العشرين في جميع المستويات، حيث أصبحت في أيامنا –حسب الدكتور تمام حسان – تمتاز بمستوى مقبول بين لغات العالم، والدليل على ذلك أنها:

- واحدة من لغات قليلة تستعمل في المحافل الدولية.
- إحدى اللغات ذات الوسائل الإعلامية المتفوقة والأقمار الصناعية.
- ذات وجود في المؤتمرات العلمية في الأوساط العالمية.
- أن الأدب العربي المعاصر يحظى بالترجمة إلى اللغات الأخرى.
- أن نمو العربية في حقل المصطلح يجعل من الممكن في يومنا هذا أن تتسع للترجمة في الكثير من حقول المعرفة.
- أن الإنتاج العربي في العلم والأدب يحصل الآن على الجوائز العالمية.
- أن اللغة العربية استوعبت أساليب جديدة لم تكن لها من قبل كأساليب المسرح والسينما والصحافة والإعلان وغيرها.
- أن الدراسات اللسانية والنقدية تشهد في الوقت الحاضر نهضة تذكرنا بما كان في الأيام الخوالي من العناية باللغة والإنتاج اللغوي [٢٠].

إلا أن العقد الأخير من القرن العشرين شهد انقلابا في موازين القوى السياسية والاقتصادية والثقافية. ففي المجالين السياسي والاقتصادي أدى سقوط الاتحاد السوفياتي إلى ظهور زعامة أحادية من الولايات المتحدة ومحاولة أوروبا – عبر الاتحاد الأوروبي – خلق توازن دولي من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية، ووضع ملامح نظام اقتصادي عالمي أساسه العولمة، من خلال المنظمة العالمية للتجارة والشركات المتعددة الجنسيات. أما الدول العربية، فأصبحت تتخبط في

حالة من عدم الاستقرار السياسي والأزمات الاقتصادية الخانقة بالرغم من الإمكانيات المادية والبشرية المتوفرة لديها.

أما من الناحية الثقافية واللسانية، فإن هذا العقد شهد محاولة الدول القوية، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، فرض النموذج الثقافي الأمريكي، وفرض اللغة الإنجليزية في التعامل الدولي، بعد ظهور المعلوماتية والأنترنيت ، الذي أصبح يمثل البديل الجديد لأنظمة الاتصال الدولية، إذ بفضله يمكن للإنسان أن يتابع الأحداث بشكل مباشر في أي مكان من الكرة الأرضية. وقد بقيت اللغة العربية بمعزل عن كل هذه التغيرات التكنولوجية واللسانية، حيث إن هناك جملة من الأسباب ما زالت تعيق وصول اللغة العربية إلى مستوى اللغات العالمية، منها:

١ – عدم مساهمة الأمة العربية في الثورة العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية المعاصرة، لا لتدني المستوى العلمي والتكنولوجي فحسب، بل لأن التعليم العالي والبحث العلمي في الأقطار العربية ما زالا منقوصي التعريب كذلك.

٢ – يتطلب استخدام اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي استخدام مصطلحات علمية وتقنية موحدة في التعليم والبحث وجميع وسائل الإعلام. وعلى الرغم من أن مكتب تنسيق التعريب قد تمكن من توحيد آلاف المصطلحات العلمية ونشرها في معاجم نشرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فإن الأقطار العربية ظلت تستخدم مصطلحات خاصة بها، دون أية محاولة للتوحيد أو التنسيق مع باقي الدول العربية.

٣ – انحطاط في المستوى اللغوي بسبب تفشي الأمية التي تبلغ نسبتها في بعض الدول حوالي ٧٠ % من البالغين. وهذا من شأنه إضعاف العربية الفصحى الموحدة وشيوع العاميات.

٤ – رغم أن العربية لغة واحدة إلا أن المعاجم اللغوية لم تسجل بصورة كاملة ألفاظ الحضارة المستعملة في الحياة العامة مثل أسماء الأدوات والآلات في الحرف والمهن والأثاث والمأكولات والأطعمة. وظل الناس يستخدمون أسماء لتلك الأشياء تختلف من قطر لآخر ولا بد من اتفاق مجامع اللغة العربية على ألفاظ حضارية موحدة تضم كذلك ألفاظ الحضارة الحديثة، مثل الحاسوب وشبكة المعلومات والبريد الإلكتروني وأضرابها، ونشرها عن طريق المدرسة ووسائل الإعلام .

٥ – لا توجد سياسة عربية واضحة في التخطيط اللغوي الذي يشمل تعليم اللغات الأجنبية في مدارسنا ومعاهدنا، وتعليم العربية لغير الناطقين بها، والترجمة من العربية وإليها. ويرى علي القاسمي أن « تدريس اللغات الأجنبية محدود في النظام التربوي في المغرب العربي، ويقتصر على عدد قليل من اللغات الأوروبية، ويغفل لغات آسيا وأفريقيا، ولا تدرس لغة بعمق وإحاطة إلا اللغة الفرنسية التي تبدأ دراستها من الرحلة الابتدائية ؛ بحيث لا نتوقع وجود مترجمين من لغات غير الفرنسية إلا نادرا. ولهذا نجد أن معظم الكتب المعربة في المغرب العربي منقولة من الفرنسية » [٢١] .

٦ – لا تشكل الأمة العربية قوة سياسية أو اقتصادية لها وزنها العالمي، وذلك بسبب الخلافات السياسية بين الأقطار العربية وعدم وجود سوق عربية مشتركة، بل عدم وجود تعريفة جمركية موحدة، حيث إن الحدود ما زالت تقف عائقا أمام البضائع العربية ، بل حتى المطبوعات العربية [٢٢] .

إن الأمة العربية أصبحت اليوم في مفترق الطرق، حيث تنتظرها تحديات كبيرة، يتوقف بقاؤها على النجاح فيها : تحديات على المستوى الاستراتيجي والسياسي، ذلك أن هذا العصر هو عصر التكتلات والتحالفات، فعلى الدول العربية – إذا أرادت أن تشكل قوة يحسب لها الحساب – أن تتحّد من الناحية السياسية والعسكرية. وتحديات اقتصادية، إذ عليها أن تنشئ سوقا عربية تتبادل فيها المنتجات العربية، حتى تستطيع أن تنافس المنتجات الأجنبية، وتشكل جبهة اقتصادية تتصدى لكل محاولة غزو من قبل أمريكا أو أية قوة أخرى ذلك أن الحرب الاقتصادية حلت محل الحرب العسكرية.

أما التحدي الأخير، فهو التحدي الثقافي واللساني والعلمي والتكنولوجي، إنه التحدي من أجل الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، ذلك أن الأمة الإسلامية مستهدفة هذه الأيام أكثر من أي وقت مضى بسبب ثرواتها المعنية والبترولية. وبذلك ، فإن ضرب العرب في لغتهم وهويتهم الثقافية يعدّ من الحلول التي رآها الغرب للحد من تطور الشعوب العربية. ولذلك، فإن الأمة مطالبة بصيانة اللغة العربية التي تعد أكبر عامل للترابط الفعال بين شعوبها، بعد الدين الإسلامي والقرآن، « إذن علينا جميعا كأبناء هوية عربية واحدة وذاكرة تاريخية واحدة، ولغة قومية واحدة، ومستقبل واحد أن تؤمن بأن لغتنا هي الدعامة الأساسية التي تقوم عليها وحدة الفكر والثقافة ودورها الحضاري، وأن تؤمن بأن المحافظة عليها تعني المحافظة على الهوية» [٢٣] .

إن أكبر تحدّ يجب على اللغة العربية أن تنجح فيه هو ترجمة الإنتاج العلمي واللغوي الأجنبي، ووضع الجهاز الاصطلاحي المناسب باللغة العربية، ونظرا إلى ضخامة هذا الإنتاج وتنوع مجالات العلم وتشعبها في هذا العصر، ونظرا إلى السرعة المذهلة التي يتجدد بها هذا الإنتاج، فإن الأمر يبدو في غاية الصعوبة، خاصة أن الحركة الترجمية العربية ما زالت بعيدة عما يجب أن تكون عليه، فإذا كان الباحثون في الدول الأوروبية والولايات المتحدة يبحثون عن أنعج البرامج الحاسوبية لجعل الترجمة أكثر دقة وإعطائها صبغة علمية

آلية، فإنها ما زالت في عالمنا العربي تتخبط في مجموعة كبيرة من المشكلات، مردها في كثير من الأحيان إلى الأسباب الآتية :

- منها ما يعود إلى المترجم نفسه الذي يفترض فيه أن يكون ملما باللغتين المنقول منها والمنقول إليها من جهة، وبالمحتوى العلمي الذي هو بصدد ترجمته، فالمترجم – الذي هو مزدوج اللسان بالضرورة – لا يتسنى له أن ينقل مادة إبلاغية من لغة إلى أخرى إلا إذا أحكم مواضعات اللغتين غاية الإحكام، فضلا عن ضرورة إحكام المحتوى الدلالي المنقول، من حيث هو علمٌ أو خبر أو استدلال [٢٤]، وهو ما أكده الجاحظ في قوله: « ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية (...)، وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به أقل كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه، ولن تجد البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء من العلماء » [٢٥].

فالترجمة تستدعي معرفة مسبقة باللغة، ومعرفة مسبقة بالحقل أو التخصص المعرفي المتمحض له، فإن العالم غير اللغوي أو غير المتمكن من لغته تمكنا عاليا لا يمكن أن نطمع فيه أن يأتي من الأمر ما لم يقيض له. فهو لا يعرف اللغة بالمقدار الذي يجعله يبدع بها مصطلحات جديدة [٢٦] .

- اختلاف المدارس العربية من مشرقية ومغربية، وتونسية ومغربية وجزائرية... الخ. وحالة مكتب تنسيق التعريب خير مثال على ذلك، فهو هيئة تنشط منذ ١٩٦١ في مجال وضع المصطلح وترجمته، غير أن تأثيره في أصحاب الاختصاصات التي تستعمل هذه المصطلحات ضئيل جدا، بسبب غياب التنسيق [٢٧]. إن أكبر معضلة تواجه ترجمة المصطلح في اللغة العربية تكمن في اختلال التواصل والتبادل بين مختلف أقطار الوطن العربي، وبخاصة بين المشرق والمغرب، حيث نلاحظ تباين المرجعية الفكرية والمكونات الثقافية، « فأما المشرق العربي فيستند إجمالا إلى المورد الأنجلوسكسوني رغم حضور المورد الآخر نسبيا في مصر وفي الشام، لكنه يظل ضعيف الإشعاع إذا ما قيس بصنوه. وأما المغرب العربي فمنهله الأساسي هو من المرجعية الفرنسية» [٢٨]. وقد أدى هذا الوضع إلى خلق حالة من الاختلاف الواضح في ترجمة المصطلحات. إن انعدام الهياكل والإطارات النظامية التي تسهر على توحيد المصطلح ونشره في العالم العربي، ونقص العلاقات والتبادل بين المترجمين والمهتمين بالدراسات اللسانية في العالم العربي، إن لم نقل انعدامها زاد الطين بلة ، فأصبحنا نجد للمصطلح الأجنبي الواحد أكثر من مقابل عربي (وربما لكل بلد عربي مصطلحه)، ذلك أن كل باحث ومترجم يرى مصطلحه الأجدر بأن يجانس المصطلح الأجنبي [٢٩].

- اعتباطية العمل عند الكثير من المترجمين، وعدم خضوعه لضوابط علمية، وذلك لعدم مراعاته معطيات العلوم الحديثة بصفة خاصة، ومنهجية العلوم الاجتماعية بصفة عامة.
- اقتصاره على البحوث الفردية التي هي أشبه شيء بالصناعات التقليدية يعتمد فيه على المعالجة اليدوية كالنظر الجزئي في القواميس والاقتصار على جرد العديد من المعلومات بالأيدي العزلاء [٣٠].
- تعدد جهات التوجيه والمرجعية العلمية على صعيد القطر الواحد، فضلا عن الأقطار المتعددة، غياب التنسيق أو العمل المشترك. فنكاد نجد في كل قطر عربي مجمعا للغة العربية تناط به مهمة «وضع المصطلحات اللغوية الدالة على ما يستجد من مبتكرات، سواء في مجال العالم المادي أو في مجال المتصورات والمفاهيم»[٣١]. غير أن تأثير هذه المجامع في التداول اللغوي بقي محدودا جدا، سواء في مستوى الحياة العامة أو على مستوى التداول العلمي والمعرفي.
- تعدد مصادر المصطلح واختلافها، بسبب طبيعتها اللغوية والثقافية، على النقيض من العلوم التي لا يظهر فيها شيء من هوية الثقافة أو اللغة غالبا، بسبب طبيعتها المعرفية القائمة على الرموز والاصطلاحات الرياضية والنظرية [٣٢].

الخاتمة:

إن اللغة العربية مطالبة بأن تفرض وجودها في ميدان البحث العلمي والتكنولوجي، وأن يصبح أهلها منتجين للمعرفة والتكنولوجيا حتى يسهموا بشكل إيجابي في بناء صرح المعرفة الإنسانية، ويفك الحصار على اللغة العربية الذي تفرضه عليها الترجمة، فيصبح الجهاز المصطلحي في شتى العلوم عربيا أصيلا غير تابع إلى اللغات الأخرى التي ينتج أصحابها المفاهيم والأفكار بلغتهم.

كما يستوجب على العرب أن يخلقوا قنوات الاتصال بين مختلف جهات القرار المكلفة بصنع المصطلح، وجهات استعماله (كالجامعيين والباحثين والطلبة)، وتشجيع وسائل الاتصال والإعلام على استعمال المصطلحات المقترحة وتوحيدها، لأن ذلك من شأنه أن يدفع بالحركة العلمية العربية نحو التقدم بخطى ثابتة.

مراجع البحث:

١. بلعيد صالح ، تحديات اللغة العربية في الألفية الثالثة، ندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٦ – ٨ نوفمبر ٢٠٠٠.

٢. البيروني أبو الريحان، تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن، تحقيق ب. بولجاكوف، مجلة معهد المخطوطات العربية، م٨ ج ١ + ٢ ، ١٩٦٢ .

٣. تمام حسان، اللغة العربية بين العورية والعولمة، ندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٦ – ٨ نوفمبر ٢٠٠٠.

٤. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢.

٥. الحاج صالح عبد الرحمن، اللغة العربية وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقية اللغات، ندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ٦ – ٨ نوفمبر ٢٠٠٠.

٦. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨.

٧. خمري حسين، الترجمة الأدبية من الخيانة إلى الإبداع، الملتقى الوطني الأول حول "الترجمة واللسانيات"، قسم الترجمة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عنابة، ماي ٢٠٠٧ .

٨. الديب حمزة، الترجمة النقدية وإشكالية المصطلح ، الموقف الأدبي، عدد ٢٨٢، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٨٩.

٩. الديداوي محمد، الترجمة والتواصل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١ ، ٢٠٠٠.

١٠. فضل الله عبد الرؤوف، اللغة العربية وعاء الوجدان القومي والركيزة التوحيدية للثقافة العربية، ندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٦ – ٨ نوفمبر ٢٠٠٠ .

١١. القاسمي علي، شروط عالمية اللغة وكيفية توفيرها للغتنا العربية، ندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٦ – ٨ نوفمبر ٢٠٠٠.

١٢. القاسمي علي، الترجمة في المغرب العربي، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية – الجزائر ، عدد ٧، خريف ٢٠٠٢.

١٣. قدور أحمد محمد ، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر، دمشق، ط ١، ٢٠٠١.

١٤. مرتاض عبد الملك ، صناعة المصطلح في العربية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، عدد ٠٢، سنة ١٩٩٩.

١٥. مرتاض عبد الملك، الكلمة الافتتاحية لندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٦ – ٨ نوفمبر ٢٠٠٠.

١٦. مريم سلامة كار، الترجمة في العصر العباسي، ترجمة نجيب غزاوي ، سلسلة دراسات أدبية عربية ، منشورات وزارة الثقافة، سوريا ، ١٩٩٨.

١٧. المسدي عبد السلام، اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب ، كتاب العربي رقم ٦٦ : حوار المشارقة والمغاربة ، الكويت ٢٠٠٦.

١٨. المسدي عبد السلام، ما وراء اللغة، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٩٤.

١٩. ولد سيدي علي أسلموا، دور مكتب تنسيق التعريب في خدمة اللغة العربية وإغنائها بالمصطلحات العلمية الموحدة على مستوى الوطن العربي، ندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، التي نظمها المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر أيام ٠٦ – ٠٨ نوفمبر ٢٠٠٠.

20. J. Redouane : La traductologie , PUF Paris, 1979.

21. L. Tarnoczi : Congruence entre l’original et la traduction, ed du Seuil Paris 1973.